المعاني الرمزية لصورة المرأة وآفاق التغيير

الدكتور: علا عبد المنعم الزيات، جامعة المنوفية، مصر

الملخص:

تتبنى الدراسة اتجاها سوسيولوجيا ينطلق من بحث قضايا المرأة من منظور كلي شامل على اعتبار أن الدقة والوضوح والتكامل في العرض من متطلبات رصد أبعاد الصورة الكلية لها. ويتم كل ذلك في فلك نظرة علماء الاجتماع لهذه الفئة من القضايا على أنها جزء لا يتجزأ من قضايا المجتمع البشري وفي ضوء الاتجاهات التقليدية التي تنظر إلى المرأة على اعتبار أنها أقل من الرجل، انطلاقا مما تقدمه وسائل الإعلام عن المرأة المصرية . وتقديم مقترحات بشأن تغيير ملامح الصورة التقليدية السلبية عن المرأة .

Abstract:

The study adopts a sociological side that searches women issues from a complete extensive perspective, considering that accuracy, clarity and integration are required for displaying an overall image of her. All that happens in relation to sociologists look to that category of cases, as an initial part of human society issues and highlighting the traditional way of seeing a woman as a less being than a man. Starting with what the media presents about the Egyptian woman, and proposing ways to change this negative image of woman.

.

مقدّمة:

يرجع الأصل اللغوي لكلمة صورة Image إلى صارا ومنها صورًا أي أحاله وقربه، والصورة هي جعل الشئ له صورة مجسمة كما أنها صفة تكشف عن جزئيات المصور ، ومنها تصور أي تخيل واستحضر الصورة الذهنية . والتصور في علم النفس يعني استحضار صورة الشئ المحسوس في العقل دون التصرف معه.[1] كما قال أرسطو إن التفكير مستحيل بدون صورة [2].

والصورة تتطلب وضع ملامح لإيضاح المعاني المتباينة وما تشير إليه من دلالات تناولها المفكرون اللغويين منهم والفلاسفة وحتى العلماء المحدثون .

وللصورة أنواع تتباين بتباين أهدافها فهناك [3] :

1. الصورة البيانية والتركيبية والرمزية والبلاغية وتهتم هذه الأنواع بالنواحي اللغوية وتراكيب الجمل .
2. الصورة Form هي ما قابل المادة ، وعني أرسطو بهذا التقابل وبنى عليه فلسفته فالصورة عنده هي العلاقة بين الموضوع والمحمول .
3. الصورة المعنوية Ideogram وهي كلمة مصورة تعبر عن معناها أو تدل على معنى قريب منها
4. الصورة الذهنية Image فهي عودة الإحساسات في الذهن مع غياب الأشياء التي تثيرها أو تعبر عنها.

وقدم علماء اللغة ما لديهم من تفسير بشأن الصورة ويتلخص في أن لمصطلح الصورة معنيين الأول (ظاهر) وهو ما يعبر عن صفة المادة في العقل ، في حين يشير المعنى الثاني(الكامن) إلى طبيعة ملامح الصورة المتشكلة في عقل الإنسان عن الأشخاص والأشياء والصفات، في ضوء ظروف وعوامل تشكلها . وهذا ما يكسب مصطلح الصورة عمق ودلالات تتباين تبعاً لتباين المواقف والظروف التي استخدمت فيها.

ومن آراء علماء اللغة بشأن الصورة إلى آراء فلاسفة الجمال الذين يعتبرون الصورة تمثيل Representation المرئي أو الذهني لشئ أو لحدث ما بالشكل الذي يمثل به الموضوع في العقل أو في الرسم أو في صورة فوتوغرافية أو فيلمية للسينما أو للفيديو في عصرنا [4].

إن ما يلفت الانتباه في تناول فلاسفة الجمال للصورة أنهم انطلقوا معبرين عن دور الخيال الذاتي للفرد في تحديد ملامح الموضوع المصور، وهو ما يكشف أن للصورة وجود حقيقي في الواقع المعاش ووجود آخر في عقول البشر يشكل هذا الوجود من الخيال الذاتي إلى جانب خبرات الشخص نفسه .

لهذا أشار (رينيه ديكارت Rene Descartes) إلى أن الحواس خداعه مثل الخيال ولا يمكن أن نؤسس عليها معرفة يقينية، وأنه من الواجب أن نصفي العقل من الحثالات الجسدية والخيالية القابلة لأن تلطخ النشاط المعرفي بوزنها الوهمي[5].

وأبدى علماء الاجتماع محاولة في تحديد ما للصورة من دلالات فكرية وأخلاقية وحتى خيالية حين تناولوا الصورة الذهنية Image على أنها تمثل عقلي مجرد لموضوع وتنهض على الإدراك المباشر لموضوع اعتماداً على معلومات مباشرة أو غير مباشرة، حيث تتأثر بالخيال، وقد تكون الصور الذهنية ناتجة عن مصادر مرئية أو مسموعة أو ملموسة أو لفظية أو جامعة لأكثر من جانب من هذه الجوانب[6].

بالإضافة لما سبق أهتم فلاسفة وعلماء الحداثة Modernity بالتركيز على الصور في ضوء التقدم العلمي والمعرفي الكبير معتبرين أن تقدمها في كافة المجالات مؤشراً على التقدم المجتمعي والرقي الحضاري، مغفلين بهذا الآثار السلبية الناجمة عن استخدامات الصورة، وأنها أصبحت تصارع الخيال الشخصي . وفي هذا يقول (هابرماس Habermas) إن الصور المتعددة للحداثة لم تعد متضامنه مع نمو الخيال، وانتقد (جان بورديارد Jean Baudrillard) الحداثة قائلا (إن الحداثة تتطابق مع عالم منبسط مفرط في الواقعية)[7].

وإن كانت الحداثة اتجاه نحو العلم والعقل والتقدم ، فإن ما بعد الحداثة Postmodernism هي اتجاه نحو إعادة تقييم الحداثة من خلال اتجاهاتها الفكرية المجاهدة نحو القضاء على آثار الحداثة المدمرة وتناول هذا (جون سول John R Saul.) و(ميشيل جرا فز Michael Graves) مؤكدين على أن ما بعد الحداثة حركة فكرية تستمد أفكارها من الثقافة والفلسفة والنظرية النقدية ، لهذا فهي تسعى لكشف الزيف الذي مارسته التكنولوجيا وتفسير الأبعاد الخفية من انتشارها وكشف دورها في تغييب الوعي الجماهيري من خلال توظيف أدواتها المتمثلة في اللغة ووسائل الإعلام [8]. كما عبر (أنتوني جيدنز Anthony Giddens) عن ما بعد الحداثة بقوله إن الانتقال من الحداثة إلى الحداثة المتأخرة (ما بعد الحداثة) هو ملمحً مميز للمجتمع الحديث، حيث الوعي المتنامي بالأخطاء التي ارتكبت والدمار الذي وقع في مسيرة التقدم المادي [9] .

وفي فلك ما بعد الحداثة تعد الصورة مظهراً من مظاهر الرقي والتقدم البشري وهي كذلك دليل معبرعن قدرة الإنسان على استخدام التقدم التكنولوجي في عصر الحداثة، إلا أن نتائجها تتحدد في ضوء سبل توظيفها والأهداف المستخدمة فيها ، وعبر عن هذا (جان بورديارد Jean Bordeard) بقوله (إن الصورة الآن تخضع لإدراك المصور ووعيه وشروط الإنتاج وأهدافه، فالصورة هي مجرد تسمية ظاهرة لنظرة زائفة ، كما يقول أن الصورة تتولد منفصلة كلية عن أية حقيقة افتراضية وهذا الوضع يرتبط أساساً بكل وسائل الإعلام والترفيه، حيث ما يصنع شئ وما يعرض شيء والحقيقة شيء مختلف عنهم [10].

وتتفق آراء (بورديارد Bordeard) على هيمنة وسائل الاتصال والإعلام مع آراء (دومينيك استريناتي D. Strianti) التي بينت أن الحداثة بأدواتها أكسبت وسائل الأعلام الجماهيري قوه تمثلت في تحكمها في أشكال العلاقات الاجتماعية وسيطرتها على احساسنا بالواقع وعلى الطريقة التي تحدد بها أنفسنا والعالم من حولنا [11].

ولا يجب أن يفوتنا التأكيد على ارتباط التفكير بالصورة تحت ما يسمى التفكير البصري، والذي يعرفه (كارل مانهايم Karl Mannheim) على أنه محاولة لفهم العالم من خلال لغة الشكل والصورة والتفكير بالصورة يرتبط بالخيال والخيال يرتبط بالإبداع والإبداع يرتبط بالمستقبل والمستقبل ضروري لنمو الأمم والجماعات والأفراد وهو كذلك ضروري لخروجهم من أسر الواقع الإدراكي الضيق إلى آفاق المستقبل الرحبة الأكثر حرية والأكثر إنسانية . (12)

وهنا إضافة معرفية جديدة ترتبط بماهية الصورة وبالموضوع الراهن وهي أنها – أي الصورة – تعد تمهيدا للتقدم وبناء الأمم والذي يتحقق من خلال التفكير في ما وراء الصورة وعدم الاكتراث بالمضامين الظاهرية لها ولكن بالبحث في المعاني الخفية والتنقيب عن السلبي والإيجابي فيها لتتشكل صورة ذهنية واعية بحقيقة ما نراه وما يقدم لنا من معلومات .

وهذا ما آثار للرد على آراء (أرسطو Aristotle)حين عبر موضحا (أن التفكير مستحيل بدون صورة) فالصورة هي بداية للتفكير ومثارا للخيال ودافعا للسلوك وسببا مباشرا للعديد من الظواهر الطبيعية والاجتماعية قديما وحديثا .

فالكلام صورة والسلوك صورة والتفكير صورة ، وتعبر هذه الصور عن وجود شيء ما في الواقع لفت انتباه الأفراد وآثار تفكيرهم مما منح خيالهم الفرصة للمشاركة في التفكير ورسم ملامح محددة لما يشاهدون وما يسمعون وما يقرأون.

وتتكون الصورة بهذا من عناصر يأتي في مقدمتها الوجود المادي ثم التفكير ثم الخيال ثم التعبير عنها بالوسائل المتاحة (لفظيا – مرئيا – حسيا – سلوكيا) فالنزوع آخر مراحل التفاعل المرئي والوجداني مع الصورة .

وعند هذه النقطة يجدر التوقف للإشارة إلى أن أي صورة ذهنية ذات هوية مزدوجة تحدث بفعل تباين رؤى الأفراد لها، وهذا ما يجعلها تارة صادقة وتارة أخرى مزيفة . والصورة بذلك كما ترصد الواقع فهي تسهم وبدرجة كبيرة في تزييفه بفعل الأهواء والرغبات والمصالح .

وتتناول الورقة الراهنة الصورة كعلاقة بين مثير واستجابة ترسخت بفعل الموروثات الثقافية وتشكلت بتأثير التقدم التقني الحديث(وسائل الإعلام)، وهي بذلك تعد تعبيراً عن تفاعل الماضي مع الحاضر، ونتاجاً للظروف المجتمعية المتغيرة.

موضوع الدراسة :-

مما يجب الاعتراف به أن وضع المرأة شهد تحسنا ملحوظا على جميع المستويات خلال النصف الأخير من القرن العشرين ، وبات أفضل من وضعها في العصور السابقة ، حيث نالت معظم حقوقها ، إلي جانب ما تحظي به قضاياها من مساندة دولية بلغت إلى حد عولمتها .

وعلي الرغم من الجهود المبذولة لتمكين المرأة من حقوقها الإنسانية، والتي بدأت في القرن الثامن عشر وبلغت ذروتها في القرن العشرين مع تشكل النظرية الاجتماعية النسوية Feminist Social Theory ، فقد تحولت قضاياها إلى ظاهرة يهتم ببحثها المتخصصون في كل مكان، ويبذلون الجهد في طرح حلول لها ، تضامنا معها من ناحية، ورغبة في استكمال منظومة التطور المجتمعي من ناحية أخرى.

من هنا تولد الاهتمام بالتنقيب عن صورة المرأة، فليس مدار البحث الوقوف على رؤية الآخرللمرأة ، ولكن الأصل في الموضوع هو معرفة أنفسنا في زمن تصدرت فيه المصالح قائمة الحكم على الأشياء والأشخاص.

لا يقتصر السعي هنا على مسألة فحص المعاني الظاهرة لصورة المرأة من وجهات نظر المتخصصين بالتفويض وإنما يمتد ليشمل الكشف عن مضامينها الخفية ومعانيها الرمزية .

وإن صورة المرأة التي نوليها بالبحث ذات جانبين :

الأول: جانب ظاهر ويتشكل عبر وسائل الإعلام والتي تترك انطباعات ثابتة بشأن المرأة .

الثاني: جانب كامن ويتكون من جميع الظروف والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية التي تؤدي دورًا في تحديد وضع المرأة ومكانتها داخل أي مجتمع .

يتطلب الكشف عن المعاني الرمزية لصورة المرأة ربطها بالخلفيات المعرفية وتأكيد صلتها بالسياقات الاجتماعية والثقافية المحيطة والمؤثرة في توجهاتها.

وهذا نفسه ما يكسب الورقة أهميه حيث تأتي كمحاولة لتناول قضايا المرأة بأسلوب يغيب عن الكثيرين، وليس في ذلك تقليل من شأن الجهد العلمي السابق بقدر ما هو محاولة للتطوير والتغيير في تناول مشاكلنا وفي عرض نتائجنا وفي صياغة حلول لها .

وتتبنى الدراسة اتجاها سوسيولوجيا ينطلق من بحث قضايا المرأة من منظور كلي شامل على اعتبار أن الدقة والوضوح والتكامل في العرض من متطلبات رصد أبعاد الصورة الكلية لها. وانطلاقا من نظرة علماء الإجتماع التي تعتبر هذه الفئة من القضايا جزء لا يتجزأ من قضايا المجتمع البشري ، وفي ضوء الاتجاهات التقليدية التي تنظر إلى المرأة على اعتبار أنها أقل من الرجل، وإنطلاقا مما تقدمه وسائل الإعلام بشأنها .

وعليه تتصدى الورقة الراهنه لبعد محوري ينطلق من إحدى مقولات التفاعلية الرمزية Symbolic Interaction وهو المعاني الرمزية Symbolic Meanings لصورة المرأة في المجتمع ، أي الممارسات و الآراء والأفكار المنتشرة في المجتمع بشأن المرأة (وبالأخص بين الرجال) وتؤثر على تطوير آدائها المجتمعي ، وعلى تحقيق التقدم البشري المتوازن .

وعليه تعد الدراسة من النوع الوصفي،والذي يتيح إمكانية عرض وتحليل نتائج بعض الدراسات في مجال المرأة إنطلاقا من نتائج الأبحاث العلمية ومقولات المتخصصين بالتفويض .

المهم في الأمر هو آلا ينتظر القارىء التركيز على تناول صورة المرأة كما يجب أن يراها أو كما هو معتاد في عرض في قضاياها ، لكن الورقة تركز على مراعاة الموضوعية والدقة في نقل الحقيقة ، ثم ليأتي دور البحث العلمي في محاولة تقديم المقترحات اللازمة لتصحيح سلبيات ما هو قائم ، تمهيدا للارتقاء بأوضاع المرأة لما ينبغي أن تكون عليه وتصل لما تطمح أن تدركه من تقدم .

محاور الدراسة

المحور الأول :- المعاني الرمزية لصورة المرأة بين التقليدية والمعاصرة

كشفت بعض الأبحاث عن واقع جديد بشأن قضايا المرأة يبين أنها حتى هذه اللحظة مازالت أسيرة صورتين متضاربتين، وليس هذا الوضع بالمستغرب بين علماء الإجتماع ،فعالم الإجتماع الكبير الأستاذ الدكتور/ محمد الجوهري أشار إلى هذه الخاصية من الظواهر من قبل مبينا أنه من الملاحظات الملفتة للنظر والجديرة بالتأمل أن نفس الظاهرة يمكن أن تجد لها تفسيرين متضاربين [13]. والصورتان المتضاربتان للمرأة هما :

المعاني الرمزية للصورة التقليدية للمرأة

Symbolic Meanings of the Traditional Image of Women

تنطلق هذه الصورة والمعاني المصاحبة لها من الموروثات الثقافية ومن الاعتقاد في أن المرأة كائن أقل من الرجل لذا يجب حمايتها وفرض القيود عليها وتكبيل قدراتها والحجر على مواهبها . كما تعكس الاعتقاد بأن المرأة أدنى من الرجل في جميع الخصائص العقلية والنفسية والبيولوجية، وأنها مصدر للإغراء

وهدفها الأسمي الفوز بقلوب الرجال ، ولا تستخدم إلا للأدوار التقليدية داخل المنزل .

ومما ذكرته نتائج بعض الأبحاث الغربية في هذا الصدد أن الصورة التقليدية للمرأة ما زالت مسيطرة على بعض الفئات الاجتماعية التي تقصر دور المرأة على الزواج ورعاية الزوج والأطفال فقط واعتبار الرجل هو القائد والمسيطر (14)

وهذه الصورة ليست متأصلة في التراث الثقافي للشعوب فقط وإنما متأصلة بصورة أعمق في أعمال الفلاسفة والمفكرين ، ففي الفلسفة اليونانية تعتبر المرأة لا شي وهي صفة تدل على السلبية [15] ويقول أفلاطون (الأنثى هي الأنثى بسبب نقص في الصفات) ويتفق معه (أرسطوAristotle)، ثم جاء المفكر(برودون Proudhon) في القرن التاسع عشر ليؤكد أن المرأة تتأرجح بين حالتين إما سيدة بيت أو خليلة [16] و كتب (ميشيل رينيه Michelle Renee) يقول أن المرأة كائن نسبي ، أما (راسل Russell) فلقد عبر عن صورة المرأة حيث قال إن جسم الرجل له معنى في ذاته خلافاً لجسم المرأة الذي تنقصه أشياء مهمة في التكوين[17] .

وتكشف رؤى الفلاسفة والمفكرين عن الصورة التقليدية للمرأة ، والتي يعبر مضمونها عن معتقدين راسخين في ذاكرة البشرية، المعتقد الأول هو الخوف الموروث على المرأة لأنها في اعتقادهم مخلوق أضعف وأدنى من الرجل، والمعتقد الثاني هو الخوف منها لأنها في اعتقادهم تتمتع بخصائص جسمية ونفسية تدفع الرجال نحوها، وقد أوضح هذا(بييرداكو Pierre Dako) حين قال عن النساء (إنهن أدنى لمجرد كونهن نساء بينما الرجل لا يشعر بنقص فيما يشعر بأنه في حاجة إلى المرأة) ويتفق معه (بلزاك Balzac) قائلاً (إن مصير المرأة ومجدها الوحيد هو دفع قلوب الرجال إلى أن تخفق لها) [18] .

ورسم علماء الاجتماع الأوائل صوره للمرأة تعبر عن الصفات التي يفضلونها في المرأة وتنم عن حقيقة واقع المرأة آنذاك ، (فأرسطو Aristotle)عبر قائلاً (إن وظيفة المرأة مقصورة على العناية بالأطفال والمنزل تحت سيطرة الرجل وليس لها في العمل السياسي) وأتفق معه (أوجست كونت A Comte) (معتبراً أن الدور الوحيد للمرأة هو دورالزوجة وربه البيت). [19]

ومنهم (هربرت سبنسر Herbert Spencer) الذي قال (إذا فهمت المرأة كل ما يحتويه العالم المنزلي لما رضيت عنه بدلاً) ، ويتفق معه (إميل دوركايم Emile Durkheim) الذي أكد (أن انتماء المرأة يجب أن يكون لأسرتها حيث يعمل الرجل خارج المنزل وتظل هي في مملكتها مركزه على التربية الأخلاقية وتحقيق الأمان العاطفي) . [20] وهنا أتذكر (بيتي فيردان Betty Freidan) (1963) حين قالت (إن الخطأ الكبير في الثقافة الغربية يكمن في تاريخها الذي أعتبر المرأة كائن أدنى من الرجل ، واعتبرها مخلوق لا يسعى إلا وراء شهواته معتمداً على خصائصه البيولوجية في الفوز بقلوب الرجال) [21].

وتكشف أقوال علماء الاجتماع الأوائل عن هيمنة النظرة التقليدية للمرأة، وأن وجودها الحقيقي يتحقق في ظل دورها العائلي فقط . وهكذا أهتم الفلاسفة والمفكرون وعلماء الاجتماع الكلاسيكيين بأدوار المرأة وصورتها وقضاياها ، وبدى بينهم اتفاقا كبيراً حول هذه الآراء التي تدور في فلك الأدوار التقليدية للمرأة ، وأنها كائن ينبغي حمايته والحفاظ عليه وأن هناك فروقاً نوعية بين الجنسين تحتم على المرأة أن تبقى حبيسة المنزل وقرينة الزوج وراعية الأطفال فقط [22]. وهو ما يعد إغفال للقدرات العقلية للمرأة وتقليص أدوارها لتقتصر على أغراء وإغواء بحكم تكوينها الذي قال عنه (باريت بلاكنجتون Barrett Blakenjton) (إن الإناث مخلوقات صنعت بصورة أفضل)[23].

وهكذا عكست آراء المتخصصين بالتفويض (الفلاسفة –العلماء – المفكرين) ملامح الصورة المجتمعية التقليدية للمرأة عبر قرون مضت ، وهي الآراء التي تبرهن على أن لتلك الصورة معاني رمزية منها الجلي مثل (رعاية

الأبناء – الزوج – المنزل) ومنها الخفي (الخوف عليها لأنها كائن ضعيف لا يستطيع الأعتماد على نفسه)، وبالطبع كان لتلك الصورة تبعات مثل التهميش والإقصاء .

إن آراء المتخصصين بالتفويض تنم عن اتفاق وإن إختلفت كلماتها على أن الرجل هو المنوط بالتفكير واتخاذ القرارات وهو كذلك رمز السلطة والقوة داخل المنزل وخارجة ، وأن المرأة تابع ومتلقى تعليمات ومنفذ أوامر، ولا يحق لها التفكير وإعمال العقل في الشئون الخاصة والعامة، ومرد ذلك لأنها أقل من الرجل في جميع الخصائص، من هنا أنطلقت المسلمة الثابتة وهي جدلية العلاقة (هيمنة- تبعية) بين الرجل والمرأة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الممارسات المجتمعية تجاه التمسك بالصورة التقليدية للمرأة وكذلك تمسك المتخصصين بآرائهم تجاه وضع المرأة في المجتمع كان من محفزات تقدمها على كافة المستويات، كما ترك أثرا واضحا على أبحاث العلماء فيما بعد ، إنطلاقا من الرغبة في التغيير ومواجهة تداعيات الصورة التقليدية التي ارتسمت في تاريخ البشرية ولم تمحى آثارها حتى الآن .

- المعاني الرمزية للصورة المعاصرة للمرأة

أطلقها التطور المجتمعي الواسع و التقدم التقني الذي أفسح للمرأة مجالات جديدة وأعطاها الحرية في تحديث أدوارها ونيل حقوقها، بحيث تمتعت بحرية التعبير عن قضاياها وهمومها، وفي هذا إقرار بفضل الحداثة Modernity عليها وعلى عولمة قضاياها.

وإن كانت هناك العديد من السلبيات المترتبة على ذلك نذكر منها رغبة ذوى المصالح الكبرى في تحقيق أرباح طائلة بتوظيف جسد المرأة تحقيقا لأهدافهم وليكن شاهدا على هيمنة نظرة الرجل التقليدية للمرأه وهذا ما أشارت له دراسة (سيلفا بلد Sylvia K. Blood) (2005) التي برهنت نتائجها على أن التقدم الكبير الذي شهده المجتمع الغربي لم يغير شيئا من ملامح الصورة التقليدية للمرأة،

فالموضة مثلا والقائمون عليها من الرجال الذين يبدعون في ملابس النساء وأدوات تجميلها وفي استخدام جسدها (Women's Body) لعرض الملابس وفرض شروط في المقاسات والوزن بما يتناسب والموضة التي صنعوها و يعكس حقيقة صورة النساء في عقول الرجال كما كشفت الدراسة عن دور أصحاب الشركات في الترويج للفكر الدوني عن المرأة وفي الاعتقاد بأن جسدها ملك للرجال فهم يصنعوه ويزينوه ويتحكمون فيه ويعرضوه في وسائل الإعلام[24].

ودعمت ذلك دراسة (فيرجسون Ferguson) عام 1980 عن المرأة في وسائل الأعلام حيث أكدت أن الصورة الأكثر تقديماً في وسائل الإعلام هي وجه المرأة الذي يعطي أيحاءً بأنها متاحة للجميع وفيه دعوى صامته للاقتراب. وفي الدول العربية أثبتت (عواطف عبد الرحمن) في دراسة لها عن صورة المرأة في المجلات العربية أن نسبة 75٪ من المجلات النسائية في الوطن العربي تتناول المرأة مركزة على تقليد هذه النماذج وإغفال خصائصها العقلية [25].

ومما لا يمحى من ذاكرة التاريخ الإنساني تلك الجريمة البشعة التي دارت في صدر البشرية بين الأخوين قابيل وهابيل، وكانت بدافع من الصراع علي من يفوز بالمرأة ويتزوجها. ومن وقتها والصراع قائم على من يجيد أستخدام جسد المرأة و يحقق الأرباح المادية والاجتماعية والثقافية، هذا في الوقت الذي تساند فيه المنظمات الدولية قضايا المرأة وتسعى إلى الإعلاء من شأنها والرقي بأوضاعها . وعليه قسم المجتمع الدولي إلى مجموعتين بشأن الموقف من النساء :-

المجموعة الأولى حريصة علي تدعيم ومساندة قضايا المرأة والمطالبة بتحسين أوضعها الاجتماعية والثقافية ، ونجد هذا بوضوح في الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة للنهوض بأوضاع النساء منذ حقبة الستينيات من القرن الماضي وحتى الآن، وعكست الأتفاقيات الدولية هذا الإتجاه مثل اتفاقية إلغاء التمييز بين الجنسين (1979) واستراتيجية نيروبي (1985) ومنهج العمل الصادر عن مؤتمر بكين(1995) إلا أن معظم الأهداف الواردة في وثائق هذه المؤتمرات لم تتحقق.

فلا تزال قطاعات من النساء محرومات من بعض حقوقهن الاقتصادية والمدنية والثقافية[26].

أما المجموعة الثانية فهي التي تجسد الرؤى التقليدية والإستغلال الجلي للخصائص البيولوجية للمرأة، وتسليع جسدها تحقيقا للمصالح الفردية والهيمنة الكوكبية .

والحقيقة التي يجب آلا تغيب عنا هي أن المرأة تجاهد بحثا عن الآمان والحماية من الرجل تارة ومع الرجل تارة أخرى حتى تشكلت لدينا نحن النساء نظرة مزدوجة عن الرجل، فهو من ترجوه المرأة لتعيش في ظله وتحت رعايته، وهو كذلك من تطالبه بحقوقها وتحسين أوضاعها .

فالمرأة تنظرإلى الرجل علي أساس أنه كائن اجتماعي في المقام الأول، في حين ينظر الرجل للمرأة علي أساس أنها كائن بيولوجى في المقام الأول [27]، وهذا ما دعا بعض العلماء الأنثروبولوجيين الاجتماعيين و المهتمين بقضايا المرأة إلى التأكيد على أن النساء هن الفئة الوحيدة التي عانت من التمييز بكل تجلياته السلبية ولا يزال قائمًا وإن تفاوت من ثقافة لأخرى. تلك الثقافة التي تحدث عنها العالم الجليل الأستاذ الدكتور / محمد الجوهري مبينا أنها ضربا من التفاعل الدائر بين الفرد وثقافته (ومجتمعه أيضا)، وأن شخصية الفرد تتشكل من خلال ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه.وهذا التشكل يتم عن طريق الهيئات التي تتولى عملية التنشئة الاجتماعية والتي تعتبر الأسرة أبرزها.[28] وتدعم هذه النتائج ما أشارت إليه (سناء الخولي) في كتابها (الأسرة والحياة العائلية) حين تقول (إن التناقص الذي وقعت فيه المرأة في عصر ثورتها الأولي يتمثل في أنها رغم حصولها علي حقوقها المدنية مثل حق الانتخاب والعمل نتيجة للثورة الصناعية ،إلا أن الرجل كرس هذه الثورة للتأكيد على(قالب) المرأة الجميلة بصورتها التقليدية، فظهرت الروائح العطرية الفاخرة لتزيين المرأة ، ومجلات الموضة والزينة والملابس) . [29]

إن ما يمكن قوله بعد صراع دام طويلا لأجل تغيير الصورة التقليدية عن المرأة أن الرجل هو الرجل متمسك بالصورة التقليدية للمرأة واعترف بهذا (جان موريس (Jan Morris) بقوله (اكتشفت بعد كل هذا الجهد الضخم في تضييق الفجوة بين الرجال والنساء، أن الرجال حتى الآن يفضلون المرأة الجميلة الجسم الأقل قدره منهم، القليلة الكلام الحريصة على الرجل).[30]

إن الموروثات الثقافية بشأن المعاني الرمزية لصورة المرأة حفرت في جينات البشرية آلية توظيف المرأة لأغراض تقليدية فقط (وليس في هذا خطأ) ولكن الخطأ يكمن في الآثار المترتبة على ذلك والتي منها تخلف المرأة عن ركب الحضارة، فكيف يتقدم مجتمع والمرأة فيه مهمشة وتابعة ولا تتمتع بحق الحرية العقلية والإستقلال الشخصي في إتخاذ ما تراه مناسبا لها ولأسرتها.

ومن الإنصاف الإعتراف بأن وضع المرأة في العصر الحديث بات أفضل ، ولكنه وضع يحمل العديد من المعاني الرمزية الظاهرة والكامنه ، فالظاهر منها أن القوانين والساتير والدول منحت المرأة العديد من الحقوق ، ومكنتها من مشاركة الرجل كافة القطاعات، أما المعاني الكامنة لصورة المرأة المعاصرة فظهرت في التكبيل والتقييد بمزيد من المسئوليات، بحيث باتت تعمل أكثر من الرجل (العمل المأجور وغير المأجور) - تسليع جسدها - ارتفاع معدلات إعالتها للأسرة – تفاقم الفقر – معانتها الصامتة من الأمراض التناسلية –عبء رعاية الرجل .

إن المجتمع المعاصر منح المرأة حقوقا شكلية وهمية ولكنه لم يمنحها الأمن الإنسانيHuman Security، في العيش والتمتع بحياة كريمة . فالفجوة عميقة ومتجذرة بين ما تعاني منه المرأة وما تحلم به لنفسها وبين ما يقدمة المجتمع لها والذي ينطلق من المعتقدات الثقافية الموروثة بشأن خصائصها العقلية والبيولوجية.

المحور الثاني :- المعاني الرمزية لصورة المرأة في وسائل الإعلام

يعرف الإعلام على أنه عملية تفاهم تقوم على تنظيم التفاعل بين الناس وتجاوبهم وتعاطفهم في الآراء فيما بينهم وهو في هذه الحالة ظاهرة تاريخية طورتها

الحضارة الحديثة وجعلتها خطيرة التأثير، وحولتها إلى قوة لا تستغني عنها الشعوب .[31] مما أكسب وسائل الإعلام قوة وهيمنة على البشر في كل مكان لذا نجد (آبل جانس Apple Jans) عام 1926 يقول إننا نعيش في عصر الصورة، كما قال الناقد الفرنسي (رولان بارت Roland Barthes) إننا نعيش في حضارة الصورة [32] فعصرنا هو بحق عصر التفاعل مع المرئيات وتبادل التأثير معها .

ولأن هذا التأثير جلي للقائمين على صياغة المنتجات الإعلامية صارت هناك رسالة إعلامية ووضعت أهداف يعملون في فلكها واقتحمت حياتنا مصطلحات جديدة مثل الإعلام المهيمن والكوكبي والفضائي.

فالمشاهدات اليومية تكشف حقيقة واحدة آلا وهي أن القائمين على صناعة الإعلام استغلوا نتائج الأبحاث العلمية المهتمة بدراسة الأبعاد المجتمعية للنسق الإعلامي في تحقيق مصالحهم وفي إشباع رغباتهم وفي نشر وترويج ما يخدم مصالحهم ويضاعف أرباحهم .

أن ثمة تطورًا قد طرأ على المعالجات الإعلامية على المستويين الكمي والكيفي، مقارنة بالمراحل التاريخية السابقة.

وما نقدمه ليس نتاج ملاحظا ومشاهدات تتبعيه فقط وإنما يصحبه ويدلل علية نتائج الأبحاث العلمية في هذا المجال مدعمة بآراء العلماء والمفكرين. وتشير (ناهد رمزي) في هذا الصدد إلى أن وسائل الاتصال تعد أحد المجالات الهامة التي يمكن إخضاعها للدراسة في مجال العلوم السلوكية ولعل هذا ما دفع الباحثين لدراستها – مقروءة ومسموعة ومرئية – في إطار ارتباطها ببعض القضايا المجتمعية [33].

وأكد العديد من العلماء وجود أزمة في صناعة الصورة نتجت عن العشوائية في استخدام التقدم التكنولوجي وفي سوء توظيفه وعن هيمنة المصالح وغلبة المكاسب ، بحيث باتت الرسالة الإعلامية المقدمة تغفل الكثير من سمات ومن خصائص المرأة ، فقد أشارت نتائج الأبحاث العلمية المهتمة بصورة المرأة في

وسائل الإعلام إلى أن المشهد الراهن يشير إلى وجود أربع تيارات فكرية تتحكم في السياسات الإعلامية العربية تجاه قضايا المرأة وهى: [34]

التيار التقليدي الـذي يسـتمد مشـروعيته مـن بعـض الموروثـات الثقافيـة والسلبية تجاه المرأة

أ- التيار الاجتماعي التحرري الذي يرجع إلى دعاوى الرواد رفاعـة الطهطاوي وقاسم أمين والطاهر حداد وخير الدين التونسي وعبد الرحمن الكواكبي الذين طالبوا بتحرير المرأة ضمن حركة الإحيـاء القومي .

ب- التيار النسوي الوافد من الغرب الذي يحصر نضال المـرأة في اطـر معزولة عن حركة المجتمـع ويضـع أولويـات لا تمثـل بالضـرورة قضايا مهمة للمرأة العربية .

ت- التيار العولمي الذي يستفيد من المرأة كعنصـر اسـتهلاكي ومـادة إعلانية جذابة وكقوة عمل رخيصة.

وتشير نتـائج بعـض الدراسـات المهتمـة بتحليـل مضـمون صـورة المـرأة في وسائل الإعلام إلى تحـول المجـلات النسـائية إلى الشـكل الاقتصـادي جعلـها مجـالا خصبا للاعتماد على المرأة في ترويج الإعلانات بحيث ظهرت النساء بشكل أنثـوي بحت لذا أوصت هذه الدراسات بضرورة تحلي وسائل الإعلام بالموضوعية والدقـة في تناول صورة المرأة [35] .وأكدت (منال أبو الحسن) (على أن أحدث الدراسـات الإعلامية أشارت إلى دور الفيديو كليب والإعلانات في نشر الرذيلة والفاحشة مـن خلال الاستغلال السيئ لجسد المرأة) [36].

وبتدقيق النظر في الواقع المعـاش يتضـح أن الـذكور ينظـرون للمـرأة نظـرة تقليدية بحتة لا تخلو من الرغبات والأهواء ، وكأنها لم تخلق إلا للإغواء والإغـراء ، وهم بذلك يحصرون أدوار النساء في الدور الأنثـوي ، والبرهـان علـى ذلـك أنهـم

اعتبروا الصورة الأكثر عرضا عن المرأة في وسائل الإعلام هي المرأة المهتمة بجمالها للفوز بقلوب الرجال .

تشير (ناهد رمزي) في بحثها عن المرأة والإعلام (إلى أن صورة المرأة في الصحافة النسائية لا تخرج عن كونها نموذج يهتم بالشكل أكثر مما يهتم بالجوهر فالمرأة كما تقدمها الوسيلة مشغولة بجمالها مسرفة في أناقتها يحركها في ذلك الرغبة في اجتذاب الرجال والاستحواذ عليهم وأن اهتمامها ينحصر في رعاية الأسرة وشؤون المنزل) .[37]

صدق الصينيون حين قالوا (إن الصورة لم تعد تساوي ألف كلمة بل صارت تساوي مليون كلمة وربما أكثر)، لقد أصبحت الصور مرتبطة الآن على نحو لم يسبق له مثيل بكل جوانب الحياة، ولعبت الميديا خاصة التلفزيون والسنيما والإنترنت وفنون الإعلان دورا أساسيا في تشكيل وعي الإنسان المعاصر بأشكال إيجابية وأشكال سلبية حينا آخر .[38]

لا أحد ينكر التقدم الذي طرأ على وسائل الإعلام، كما لا ننكر على العاملين في هذا القطاع حرصهم على التطوير والتحديث في المعالجات الإعلامية المتعلقة بقضايا المرأة مقارنة بالمراحل التاريخية السابقة، ومقارنة بنتائج البحوث والدراسات التي عنيت بهذا المجال ، لكن ما نود الإشارة إليه هو إجمالي المضامين المقدمة للمشاهدين وللقارئين وللمستمعين في الإعلام، فللأسف الشديد لازالت الصورة التقليدية هي الأكثر انتشار، وهذا نفسه ما جعل المبحوثين لا يرون من المرأة إلا الجانب التقليدي، فنجدهم يميلون لأنوثتها وتجذبهم قوة شخصيتها ويحبون ضعفها .

و يؤخذ على عصر الصورة آثاره السلبية التي تجسدها طريقة عرض المرأة وقضاياها .

فبثت وسائل الإعلام للمواطنين في كل مكان صور مزيفة يدور ظاهرها وباطنها على السطحي والشهواني والسلطوي ، على حساب الحقيقي والجوهري والثابت .

إن وسائل الإعلام لا تتوخى بأي حال من الأحوال الموضوعية في نقل ما هو قائم ولا في إضفاء اللمسة المستقبلية عليها، مما ترتب عليه الإعلاء من قيمة الصور المزيفة عن المرأة وإخفاء حقيقة ما تعيش فيه وما تحلم به لنفسها .

إن وسائل الإعلام مارست دوراً سلبياً في تقديم المرأة ،حيث أظهرتها في صور مناقضة تماما لما حققته ولما تريده لنفسها، وركزت على المكاسب والمصالح أكثر مما ركزت على القيم والمبادئ.

وبشأن سلبية أو إيجابية صورة المرأة في وسائل الإعلام وصف التقرير الصادر عن المؤتمر الرابع للمرأة أن هناك صورة سلبية ودونية تقدم عن المرأة في جميع وسائل الإعلام الإلكترونية المطبوعة والمقرؤة والمرئية والمسموعة وأن جميع هذه الوسائل لا تقدم الصورة المرغوبة عن المرأة أو الصورة الواقعية لهذا يجب تغيير هذه الصورة. (39)

ويعد الاعتراف بإيجابية أو سلبية صورة ما ملمح مهم من ملامح ما يراه الآخرين عنا، وهو كذلك مهم لطرح سبل معالجة السلبيات ومساندة الإيجابيات وفي تعديل القائم ، وفي تصحيح أوضاعنا بكشف عيوبنا والتنقيب عن مثالبنا، وهذا في رأيي أولى خطوات التقدم السليم (أن تنظر في عين الآخرين لترى صورتك وتعرف حقيقتك) .

فيجب علينا أن ننشئ أجيال جديدة على الصدق والموضوعية لا على المصالح والسلبية. مؤمنين بأن الإعلام يمثل المؤسسة التربوية والتعليمية الحديثة وأنه الوسيلة المستخدمة في تطبيق العولمة الثقافية التي تسعى إلى نشر نمط ثقافي واحد في العالم وهو نمط الثقافة الغربية.

أن هناك خلل ما طرأ على نقل الصورة الخاصة بالمرأة وأن هذه الرؤية (التي تركز على السطحي والشهواني والسلطوي) تقترب المقدم في وسائل الإعلام العالمية، ومما يعزز القول أن

أثبتت أحدى الأبحاث أن وسائل الإعلام أدت دوراً سلبياً في تشكيل صورة المرأة وفي تعزيز الملامح البيولوجية فيها بنسبة بلغت 65٪ مقابل 35٪ للصورة الإيجابية[40].

والحقيقة التي لا تزال قائمة حتى وقتنا هذا أن الغلبة في وسائل الإعلام للتيار التقليدي الذي كرس مقولات التيار العولمي لخدمة مصالحة في الاتجار بالمرأة.

وانطلاقا مما سبق يحق القول أن الرجل حرص على نقل تراثه الثقافي عن المرأة ونظرته المسجلة في تاريخ البشرية إلى وسائل الإعلام ليشاهدها الملايين ولتترسخ في أذهانهم وتتأكد مع ما لديهم من موروثات ثقافية .

فتوصيات مؤتمر الدوحة العالمي للأسرة في الفترة من 25-29 نوفمبر 2004 أكدت أن وسائل الأعلام تمارس دوراً في تنشيط الأدوار وفقاً للنوع كما يوجد تنميط للسمات الجسدية لكل من الرجل و المرأة .[41]

ومن البديهي أنه مع تكرار عرض مثل هذه النماذج أن يتأثر بها الرجال والإناث على حد السواء. فالإناث ممن يشاهدن هذه النماذج يرغبن في تقليدها، بحكم خصائص المرحلة العمرية التي يعشنها.أما الرجال فيتباينون في استجابات، فمنهم من يطلب من زوجته تقليدهن إن كان ذو مستوي اقتصادي مرتفع أو حتى متوسط، أو تندلع الخلافات الزوجية بسبب عدم مقدرته الاقتصادية ويؤكد هذه الحقائق ما قدمته (منال أبو الحسن) في أبحاثها عن سلبيات وسائل الإعلام موضحة أن صورة المرأة الأنيقة الرشيقة التي تقدمها وسائل الأعلام لا تتحقق إلا في نسبة 30٪ فقط من الإناث ، وهذا ما يسهم في زهد الأزواج في زوجاتهم .[42]

إن صورة المرأة كما تعرضها وسائل الإعلام ،رسخت في أذهان المشاهدين والمتابعين الخصائص السلبية وأغفلت الخصائص الإيجابية .

وهنا يمكن الاعتراف بأن وسائل الإعلام قامت بعملية تثقيف مزدوجة الاتجاهات ، فهي من ناحية شكلت صورة في الداخل ، ومن ناحية أخرى طرحت صورة للمرأة في الخارج، بحيث اخترقت تلك الصور كل مكان .

وأجمع منظرو ما بعد الحداثة Postmodern theorists على أن سيادة الثقافة والاتصال تتحقق في سياق كوني وتتأثر به تأثراً عميقاً فهناك الكثير من المنتجات الثقافية التي تنتج من خلال وسائل الأعلام ويمولها رأس المال الذي يعمل في هذا السوق كما يؤكدون على الأفراد والجماعات يشكلون هويتهم من الزخم المتدفق من الصور الإعلامية والمنتجات الاستهلاكية.(43)

المحور الثالث :- جانب من القضايا المجتمعة للمرأة العربية

إن العرب تربطهم هوية جغرافيه وهوية ثقافية وعادات اجتماعية متوارثة وفي هذا الشأن قال جمال حمدان أن العروبة مضمون ثقافي لا جنسي.(44)

وتتميز الدول العربية بتقاربها الشديد نتيجة وحدة الأرض واللغة والموروث الثقافي وهذا لاينفي تنوع الأنظمة الثقافية والاجتماعية والتفاوت الاجتماعي والاقتصادي بينهم جلي في نمط الإنتاج ومنظومة القيم الاجتماعية والثقافية.

ليست النساء العربيات بمعزل عن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وحتى الثقافية التي يشهدها العالم بصفة عامة والوطن العربي بصفة خاصة. فالأزمة الاقتصادية الراهنة تؤثر بصورة سلبية على جميع الفئات الكادحة، وعلى الأخص النساء الفقيرات .

وهو ما ترتب عليه تعمق الفجوة بين الجنسين وجعل البنت في مكانة أدنى من الولد، وذلك نظرا لاعتبارات اقتصادية وثقافية، تنظر إلى الولد على اعتبارأنه مكسب مادي للأسرة، أما البنت فمصيرها الطبيعي الزواج والإنجاب .

فالزواج على المستوى الاجتماعي يعنى تعرض الفتاة لدائرة أوسع من العلاقات الاجتماعية مع أهل زوجها ومعارفه، ولو تعرضت طفلة غير ناضجة لتلك العلاقات لمثلت لها ضغوطا نفسية تسبب لها التعاسه، أما الفتاة الناضجة فيمكنها الدخول باطمئنان في هذه العلاقة، ووضع الحدود التي تحفظ لحياتها خصوصيتها،مما يقلل من الخلافات الزوجية.(45)

وأكد علماء الاجتماع أن الزواج ظاهرة اجتماعية Social phenomena لا تقوم فقط على صلة الرحم وإنما تقوم على أسس يرتضيها العقل الجمعي Group Mind وهو يخضع للقوانين الوضعية القائمة في المجتمع، ويتأثر بالحالة الاقتصادية وبالتيارات الفكرية المنتشرة في أرجائه ، ويتسم كذلك بعدم الإستقلال عن غيره من الظواهر ، وهذا ما أكده (دوركايم E.Durkheim) حين بين أن الظواهر الاجتماعية يفسر بعضها بعضا (46).

وطالما أن الزواج ظاهرة اجتماعية ترتبط بالخصوصية الثقافية لكل مجتمع على حده ، ويعتبر التعدي على هذه الخصوصية جريمة من وجهة نظر البعض.ويرجع الأصل في ذلك إلى المميزات التي يكسبها الزواج لأفراد المجتمع، حيث تجد الأنثى نفسها مدفوعة للزواج و إلا فلن يقبلها المجتمع، ويشكل هذا أحد العوامل الجوهرية وراء رفض المبحوثات ظاهرة الزواج المختلط . فالزواج كما يعتقدن أسمى الأهداف التي خلقن لأجلها وأن وجود منافسات لهن من الأمور المرفوضة مسبقا، وأزداد الأمر تعقيدا مع تفشي ظاهرة العنوسه وتأخر سن الزواج.

وتلك ظاهرة منتشرة على نطاق واسع في معظم الدول العربية وبعض دول العالم. وسلط الضوء على تلك الحقائق البحث الذي أجرته منظمة المرأة

العربية عن المرأة والإعلام وورد فيه اتفاق على وجود مشاكل مشتركة بين مصر والبحرين بشأن قضايا المرأة وجاءت في مقدمتها القضايا الاجتماعية مثل العنوسه والعنف ضد المرأة و الفقر و الزواج المبكر و الأمية بإعتبارها أهم خمس قضايا تواجه المرأة في صدارة قضايا المرأ العربية.(47)

والقضايا الاجتماعية التي تعانيها المرأة كثيرة ومتنوعة مثل الأميه والفقر وغلاء المهور والأمراض الخاصة بالصحة الإنجابية والأنيميا وسوء التغذية والتهميش الاجتماعي والسياسي وإعالة الأسرة والتمييز النوعي والآثار المترتبة على سيادة النظرة التقليدية عنها في المجتمع .

ومما يلاحظ هنا أن هناك غلبة للأبعاد الاقتصادية في معايير الزواج وفي الا ختيار وحتى في القبول والرفض، وتلك الأبعاد لا تنفصل بأي حال من الأحوال عن سلبيات عصر العولمة الذي عمق النزعة الاستهلاكية، وقدم الفردية، وقضى على القيم الإيجابية ، ونشر قيم المنفعة والفردية .

وتمثل المرأة أهمية استثنائية في إطار اقتصاديات السوق في عصر العولمة فهي تمثل بالنسبة للشركات المتعددة الجنسية وفروعها المحلية قوة العمل الرخيصة التي تقبل ما لا يقبله الرجل سواء في العمل الأهلي أو الرسمي وهى صانعة قرار الاستهلاك في الأسرة مما يضاعف مكانتها كركن أساسي في التراكم الاقتصادي لصالح المتحكمين في السوق العالمية والأسواق المحلية.(48)

وعن تمثيل المرأة في المجال الاقتصادي وعلاقته بتطور أوضاعها في ظل النداءات المستمرة بتمكينها فقد كشفت الدراسات التي أجريت منذ السبعينات، عن دور المرأة في الاقتصاد الحديث، وعن وجود جيش غفير من العاملات الخفيات، اللاتي لا تظهر الأعمال التي يقمن بها في الإحصائيات، ولا تتقاضين أجرا نقديا مقابلها، مع أنهن في المتوسط يعملن ساعات تفوق عدد ساعات عمل الرجل، ومعظم هؤلاء العاملات الخفيات، يعملن في القطاع الزراعي، أو في الأعمال التي تمتلكها الأسرة، أو في قطاع الاقتصاد المنزلي، أو فى أماكن أخرى

من القطاع غير الرسمي. والإحصائيات في البلاد العربية مثلها مثل أنحاء العالم لا تعكس دائما الواقع، ففي الهند-على سبيل المثال -عندما قامت منظمة العمل الدولية بتطبيق التعريف المعدل للعمل الاقتصادي، ارتفع عدد النساء النشيطات من 13 ٪ إلى 88 ٪، وبالمثل في مصر، حيث أظهرت أرقام إحصاء عام 1990 أن النساء يشكلن 11 ٪من مجموع قوة العمل، كما أظهرت عينات من الأسر الريفية في الوجه البحري بمصر أن نصف الزوجات تحرثن الأرض الزراعية ، كما تشارك بين 55 ٪ و 70 ٪منهن في الإنتاج الزراعي, أما في صعيد مصر فتشارك بين 34 ٪ و 41 ٪من النساء في الإنتاج الزراعي، وتعمل 75٪ في تربية الدواجن.[49]

ومما يجب ذكره أن المرأة في الأسرة العربية تعاني من الازدواجية في آداء أدوارها (دورها التقليدي كزوجة وأم – دورها الحديث كعامله ومنتجه) وبالطبع يؤثر كل هذا في مضمون الصورة المصاغة عنها ليس بيننا نحن العرب فقط وإنما فيما يوجه من رسائل ثقافية للخارج وعلى الأخص في الدول الغربية.

فمن الملاحظ أن نظرة المجتمع العربي للمرأة نظرة تقليدية تنهض على أساس أنها تتمتع بالصحة وتتحمل الأمراض ففي دراسة أجراها الأستاذ الدكتور/ علي عبد المنعم مراد عن الوضع الغذائي وصحة الطفل تبين منها أن الأطفال الذكور في مجتمع البحث (بئر جريد بوسط سيناء) يتمتعون برعاية صحية واجتماعية بصورة أفضل مما تتمتع به الإناث وأن البدوي في هذه المنطقة يحرص على طفلة الذكر من الحسد والأمراض أكثر مما يحرص على الإناث.[50]

المحور الرابع :- ملامح الصورة الكلية للمرأه :

كتب (بيون Bion) عن سلوك الرجل والمرأة فقال إن السلوك هو تعبير الكائن الذي هو مصدرالفعل، فالرجل سلوكه محكوم بحتمية تشريحية موجه نحو الفعل والتحطيم الخارج،والمرأة هي مادة اللذة الجنسية والإشباع الضروري لهذا الرجل ،حيث الشعور بهويته ورجولته فالمرأة مقدر لها أن تغوي وتفتن وتلك صورة سطحية للمرأه [51]. فعلى الرغم من أننا ذكوراً وإناثً نعيش في مجتمع

بشري واحد إلا أن للرجال رأي آخر ينهض على أساس الأدوار والمكانات وعلى استخدام كل طرف للآخر لا على أساس الإحتياج وتكامل كل طرف مع الآخر.

إن ما قدم بشأن المعاني الرمزية لصورة المرأة لا يقلل بحال من الأحوال من مكانتها ولا من وضعها أمام نفسها وأمام العالم .

والحقيقة التي باتت واضحة وضوح الشمس هي أن الرواد الأوائل المناضلين من أجل تعديل وضع النساء قديما وحتى المعنيين بقضايا المرأة حديثا اتفقوا على أن للمرأة صورة سلبية ودعوا لتكاتف الجهود لمحو هذه الصورة وجاء التيار العولمي ليهدم كل هذا وليركز على الجوانب الأنثوية الظاهرة في المرأة.وهذا ما دعا إلى القول بأن كل صورة يجب أن تكون على أهمية الاختزال فمنها الجيد والرديء والضار، ويجب معرفة استعمالها عندما تكون جيدة،والتخلص منها سريعاً عندما تصبح غير مفيدة على حد تعبير (باشلارGaston Bachelard) [52].

إن المرأة عانت ويلات المشاكل الثقافية والاجتماعية والسياسية والصحية، وسعت الأبحاث العلمية مجاهدة لتسليط الضوء على هذه المشاكل واقتراح السبل اللازمة لحلها .

ولم يتوقف الأمر عند هذا وإنما نشطت جمعيات المجتمع المدني مطالبة بتحسين أوضاعها وتمكينها اقتصادياً وسياسيًا، والارتقاء بوعيها الصحي. وقد أسفرت هذه الجهود عن تحسين أوضاع المرأة كثيرًا مقارنة بالعصور المنقضية .

المحور الخامس :- صورة المرأة وآفاق التغيير

مقترحات تستلزم التنفيذ الفوري :-

- من الأساليب الفعالة في تحقيق الأثر تقديم القدوة الحسنة والنماذج المثالية، بمعنى تكريم المرأة المتفوقة في العمل والأخرى في التنشئة الاجتماعية والثالثة في السياسة والرابعة في النشاط المجتمعي وخدمة المجتمع والخامسة في الاقتصاد، بمعنى أدق تقدير وتكريم النساء المتميزات

في كافة المجالات وبالأخص في المجالات العلمية والسياسية والاجتماعية، على أن يكون ذلك في يوم رسمي وليكن اسمه (يوم الوفاء). ففي هذا السلوك دعوة لحث المرأة على التسابق في التقدم والعمل من جانب، وتحدي كافة أشكال الثقافة المجتمعية السلبية من جانب آخر، وبناء جيل جديد من يتخذ من العلم العمل سلاح للنجاح.

- وكما سيتم تكريم المرأة في كافة المجالات يستلزم الوضع لتغيير النظرة التقليدية للمرأة الدعوة لتنظيم يوم يسمى (يوم الجزاء) وفيه يكريم الشاب المثالي والزوج المثالي والزميل المثالي والجد المثالي والأبن المثالي والأخ المثالي والرئيس المثالي وغيرهم من الرجال الذين أسهموا في تشجيع النساء والفتيات على النجاح والتفوق في كافة المجالات وكانوا عونا وسندا لهم. ففي هذا بداية لتوجة نحو التغيير الإيجابي ولبناء مجتمع متعاون ومتماسك بين نوعيه (ذكور وإناث)
- أقترح الدعوة ليوم يسمى (يوم التكامل الأجتماعي) وفيه تكريم للأسرة التي تهتم بالتنشئة السوية لأبنائها وتسهم في العمل التطوعي وخدمة المجتمع المدني بمختلف طوائفه .

مقترحات تستهدف النهوض بوعي المرأة

1- تلقين الفتاة بحقوقها التشريعية الدستورية والقانونية .

2- تبصير الفتاة بوضعها على خريطة المجتمع ومقارنتها بنظائرها في المجتمعات الأخرى لتسبين ما لها وما عليها .

3- حث الفتيات على المشاركة المجتمعية الفعالة وبالأخص في الجمعيات والمؤسسات المنوطة بخدمات المرأة والطفل والمعاق .

4- تعريف الفتاة بأسس الأختيار الزواجي ، وسبل تحقيق الاستقرار الأسري .

5- تدريب الفتاة على التعامل مع الأزمة وسبل مواجهتها .

6- توعية كل فتاة بمعايير الصحة الإنجابية وطبيعة التغيرات الفسيولوجية المصاحبة لكل مرحلة عمرية وسبل التعامل الآمن مع مشاكلها .

7- تبصير الفتيات بالمخاطر الصحية المترتبة على ممارسة العادات والمعتقدات السلبية المتبعة في الحمل والولادة وغيرها .

8- مما يغيب في تصميم البرامج التثقيفية توعية المرأة بذاتها وبهويتها وتبصيرها بخصائصها الجسمية والنفسية ووقوفها على قدراتها ومهاراتها ، ففي هذا بداية لتحديد المسار الذي يجب أن تسير فيه كل إمرأة .

9- تلقين المرأة بأساليب التنشئة الاجتماعية السوية لأبنائها

مقترحات تستهدف الشباب والأزواج في المجتمع :-

1- يجب أن يقف الشباب والرجال على واقع مشاكل الفتاة والمرأة في المجتمع، ووضعهم في دائرة المسئولية وإشراكهم في سبل القضاء على تلك المشاكل من خلال الندوات والمسابقات في المدارس والجامعات والنوادي وفي أماكن العمل بالقطاعين العام والخاص ومن خلال وسائل الإعلام .

2- تبصير الشباب بملامح الصورة المرجوة للمرأة التي هي أمه وأخته وزوجته وأبنته .

3- تصميم ندوات وحملات لمواجهة التحرش الجنسي .

4- توجية برامج لإحياء العديد من القيم التي فقدت الآن مثل الشهامة والتسامح والمبادأة.

5- توجية برامج توعية للفتيان وللشباب بشأن أسس التفاعل الإيجابي مع الفتيات النساء .

6- شمول الأزواج ببرامج التثقيف الصحي وبالأخص الصحة الإنجابية .

7- تنظيم برامج لتوعية الشباب بالآثار الصحية والنفسية والاجتماعية المترتبة ممارسة العادات والتقاليد الثقافية السلبية تجاة المرأة .

مقترحات تستهدف الإعلام :-

إن الرسالة الإعلامية تفتقر إلى الأسلوب الموضوعي في تناول وعرض ومعالجة قضايا المرأة والتمييز في التنشئة الاجتماعية بين الذكور والأناث، وفي تسليط الضوء على مظاهر الثقافة المجتمعية السلبية تجاة المرأة . لذا فقد آن الأوان لوضع استراتيجية قومية للإعلام تستهدف مساندة الجهود القومية المبذولة في تدعيم الجوانب الايجابية لصورة المرأة ونبذ كافة السلبيات المجتمعية والتي تقف عائقا والنهوض بالمرأة .

- ✓ يجب أن تشمل الرسالة الإعلامية مناقشة لقضايا المرأة من منظور الرجال، ورؤيتهم في معالجتها ومعوقات تحسين وضع المرأة في المجتمع .
- ✓ إن ما يمكن ملاحظته أنه لا توجد صورة ذهنية موضوعية عن كل نوع تجاه الآخر لذا لا يجب أن تكون الرسالة الإعلامية أحادية التوجة ، فكما تتناول قضايا المرأة ، يجب أن تطرح قضايا الرجال،وتجعل لهم نصيب مماثل من المناقشة ، ليتحقق الفهم الكلي لكل نوع عن الآخر .

مقترحات تستهدف أجهزة المجتمع :-

1- نشر الوعي في وسائل الإعلام وفي الكتب المدرسية بمخاطر زواج الأقارب وبالآثار السلبية للفروق النوعية في التنشئة الاجتماعية.

2- عقد ندوات ثقافية في الجامعات والنوادي والمؤسسات الحكومية لتوعية أفراد بأسس التنشئة الاجتماعية السوية لأبنائاء .

3- يجب دعم وضع المرأة في المجتمع، فتمنح الأسر التي لديها إناث حوافز معنوية وصحية وثقافية وامتيازات مجانية متعلقة بالحج والعمرة، وذلك

لمواجهة ظاهرة الإجهاض الانتقائي التي بدأت تنتشر بين الأمهات الحوامل في إناث .

4- نشر الوعي بمخاطر الوصفات والممارسات الشعبية المتبعة أثناء الحمل والولادة ، وخصوصا من قبل وسائل الإعلام ووحدات الصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة، والتي من المفترض أن تقوم بدور فعال في نشر الثقافة الصحية السليمة .

5- انشاء قسم خاص بالتوعية الاجتماعية والنفسية للأمهات في مراكز رعاية الأمومة والطفولة

6- وجود شاشات تلفزيونية يعرض من خلالها محاضرات عن الآثار السلبية المترتبة على ممارسة العادات والتقاليد المضرة بالصحة ، والتوعية بالصحة الإنجابية للفتاة وللمرأة وتشرح التغيرات المصاحبة لكل مرحلة تمر بها، والنظم الغذائية الصحية اللازمة لكل مرحلة من مراحل حياة المرأة والطفل والرجل. ويفضل تنفيذ ذلك في جميع عيادات الأطباء بحيث يكون من شروط الموافقة على استخراج رخصة العيادة .

7- من الخطورة الإبقاء على ظاهرة الزواج المبكر، خاصة بعدما فشلت الاجراءات القانونية الرسمية في مواجهته، لذا تظل التوعية واحدة من أهم آليات مواجهتة في المجتمع المصري عامة وفى الريف خاصة.

8- تبصير المجتمع بمخاطر تكرار الحمل والإنجاب على صحتى الأم والجنين، إلى جانب الحث على الدعوة بالمساواة بين الولد والبنت فى المعاملة والتنشئة، وغيرها من مظاهر السلوك الذى ينعكس بالسلب على صحة فتاة اليوم وأم المستقبل .

وانطلاقا من الرغبة في تدعيم الجوانب الإيجابية في صورة المرأة ولتغيير بعض الجوانب السلبية في هذه الصورة، أمكن صياغة المقترحات

السابقة للمهتمين بشؤون وقضايا المرأة، والتنويه عن مشاكل وجب إلقاء الضوء عليها .

الخاتمة:

وأخيرا، إن صورة المرأة في المجتمع تعد انعكاسًا طبيعيًا لما تعانيه من مشاكل وضغوط يومية، وهي في نفس الوقت أثر من الآثار السلبية للحداثة ومؤشراً على الدور الذي تلعبه الصناعات الثقافية في تزييف واقع النساء، واللآئي يستخدمن كأدوات لتحقيق المكاسب والمصالح المادية، وهذا نفسه ما أشار إليه أنتوني جيدنز حين قال (إن الرجال جعلوا من النساء خليلات لهم وجواري وعاهرات).

ويبدو مستقبل المرأة محيراً في ضوء هذا الواقع ، فمنذ أكثر من عشر سنوات تساءلت (جودي مانJudy Man) قائلة (الآن نحن أكثر حرية ولكن هل نحن في حالة أفضل ؟ ماذا ينتظرنا خلال العشر سنوات القادمة ؟) [53] .

وردا على أسئلة (جودي مان) أقول لها يجب الإعتراف بأن وضع المرأة الآن أفضل من ذي قبل، حيث نالت الكثير من حقوقها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والصحية، ولكنها الآن في خضم كفاح مرير من أجل الحصول على حقوقها البشرية .

وختاما يجب أن أذكر بما سبق الإشارة إليه من أن مشاكل المرأة تبدأ من بين يديها ومن رحمها، وتنتهي عندها ولكن بين أمراضها. ففيها يكمن السبب ومنها يخرج العلاج ومن أجلها عكفت على إتمام هذا البحث .

❖ **هوامش البحث:**

(1) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط** ، القاهرة ، مكتبة الشروق الدولية، ط.4، 2004 ، ص928 .

(2) شاكر عبد الحميد، **عصر الصورة، السلبيات والإيجابيات**، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 11 ، يناير 2005 ، ص 8 .

(3) مجدي وهبه وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، بيروت ، مكتب لبنان ، 1979 ، ص 127 .

(4) سامي خشبه ،**مصطلحات الفكر الحديث** ، سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2006 ، ص 54 .

(5) دافيد لوبروتون، **أنثروبولوجيا الجسد والحداثة**، ترجمة محمد عرب صلاصيلا، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط.2 ، 1997 ، ص 198 .

(6) نخبة من أساتذة قسم الاجتماع، **المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية**، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1975 ، ص236 .

(7) دافيد لوبروتون ، أنثروبولوجيا الجسد ، مرجع سابق ، ص207 .

(8) Postmodernism,-from Wikipedia, the free Encyclopedia, 1 ; 17 ,19 August 2007, GNU free Document .

(9) مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، **قراءات معاصره في نظرية علم الاجتماع**، ترجمة مصطفى خلف عوض، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، 2002 ، ص129

(10) سامي خشبه ، مصطلحات الفكر الحديث ، مرجع سبق ذكره، ص57 .

(11) مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، مرجع سبق ذكره، ص57.

(12) شاكر عبد الحميد ،عصر الصورة ، مرجع سبق ذكره ، ص 8 .

(13) محمد الجوهري ، علـم الفولكلـور ، **الجـزء الثـاني دراسـة المعتقـدات الشـعبية** ، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ،1988 ، ص 34 .

(14) William Kornblum, Joseph Julian and Carolyn D. Smith, **Social Problems**, New Jersey, Prentice Hall, Englewood Cliffs, 7th ed., 1992, p .285 .

(15) أني آنزيو، المرأة الأنثى بعيداً عن صفاتها، **رؤية إجمالية للأنوثة من زاوية التحليـل النفسي،** ترجمة طلال حرب ، بيروت ،المؤسسـة الجامعيـة للنشـر والتوزيـع، 1992 ، ص11.

(16) نهى القاطرجي، **المرأة في منظومة الأمم المتحدة** ، رؤية إسلامية، بيروت، المؤسسـة الجامعية للنشر والتوزيع، 2006 ، ص53 ، 69 .

(17) محمد قدري عماره، النوع : **الذكر والأنثى بين التمييز والاختلاف مقـالات مختـارة،** سلسلة مكتبة الأسرة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006 ، ص178 .

(18) نهى القاطرجي، **المرأة في منظومة الأمم المتحدة** ، مرجع سابق، ص70، 88 .

(19) المرجع السابق، ص69 .

(20) سامية السـاعاتي، **المرأة والمجتمع المعاصر**، سلسـلة مكتبـة الأسـرة، القـاهرة، الهيئـة المصرية العامة للكتاب ، 2006 ، ص 219 .

(21) William Kornblum, Joseph Julian and Carolyn D.smith, **Social problems**, Op .cit, p.287 , 286.

(22) سامية الساعاتي، **المرأة والمجتمع المعاصر**، مرجع سابق ، ص 221 .

(23) محمد قدري عماره، النوع: الذكروالانثى بين التمييز والأخـتلاف، مرجـع سـابق ، ص 38 .

(24) Sylvia k. Blood, T**he Social Construction of Women's body image,** London, Rutledge, 2005, p.14.

(25) موقع الشبكة الإسلامية،المركز الإعلامي، الأسرة، تحرير أم تعزيز، الأثنين، الموافق 3/ 7/ 2006.

(26) علا أبو زيد وآخرون ، **الإعلام والمرأة في الريف والحضر**، دراسة تطبيقية على مصر والبحرين، الملخص التنفيذي للدراسة، أعمال ورشة العمل التي عقدت بالقاهرة في الفترة من 28 – 29 مايو 2005 . ص 20.

(27) سامية الساعاتي، **المرأة والمجتمع المعاصر**، مرجع سابق ، ص 195.

(28) نيقولا تيماشيف، **نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها**، ترجمة محمد الجوهري و آخرون ، بدون ناشر ، 1996 ، ص 477 .

(29) سناء الخولي، **الأسرة والحياة العائلية**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، 1989، ص106 .

(30) William Kornblum, Joseph Julian and Carolyn D.smith, Social problems , Op.cit , p.287 , 286.

(31) أحمد زايد وآخرون، الأسرة والطفولة، **دراسات إجتماعية وأنثروبولوجية**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، بدون سنه،ص 336 .

(32) شاكر عبد الحميد، عصر الصورة، مرجع سابق ، ص 8 .

(33) ناهد رمزي، **المرأة والإعلام في عالم متغير**، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2004 ، ص 51 .

(34) علا أبوزيد وآخرون، **الإعلام والمرأة في الريف والحضر**، دراسة تطبيقية على مصر و البحرين، الملخص التنفيذي للدراسة، مرجع سابق .

(35) ناهد رمزي، المرأة والإعلام في عالم متغير، مرجع سابق، ص 52-53 .

(36) موقع الشبكة الإسلامية ، مرجع سابق .

(37) ناهد رمزي، **المرأة والإعلام في عالم متغير**، مرجع سابق، ص 53 .

(38) شاكر عبد الحميد ،**عصر الصورة** ، مرجع سابق ، ص 8 .

(39) United Nations, Report of the fourth world conference on women, Beijing, New York,1995 , p .4-15.

(40) فتحية إبراهيم صرصور، **المرأة في الإعلام**، موقع مجلة أقلام ثقافية، الثلاثاء الموافق 6/ 12 /2005 :.

(41) موقع الشبكة الإسلامية ، مرجع سابق .

(42) المرجع السابق .

(43) مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، **قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع**، مرجع سابق ، ص178 .

(44) محمد الجوهري وعلياء شكري، **علم الإجتماع الريفي والحضري**، القاهرة، دار المعارف ، الطبعة الثانية ،1983 ، ص 49 .

(45) حامد عبد السلام زهران، **علم النفس الاجتماعي**، الطبعة الخامسة، القاهرة، عالم الكتب، 1984 ، ص 253 .

(46) David E. Bloom and P.H. Reddy , **Age Patterns of Women at Marriage**, Cohabitation , and First Birth in India, Demography 23 , 1986 , p.509 .

(47) علا أبوزيد وآخرون، **الإعلام و المرأة في الريف والحضر**، دراسة تطبيقية على مصر والبحرين ،الملخص التنفيذي للدراسة ،مرجع سابق ، ص 55 .

(48) المرجع السابق ، ص 42 .

(49) وزارة الشئون الاجتماعية. 2001 .إنجازات مشروع الصحة الإنجابية . متاح على الخط المباشر :

< http://www.socialaffairs.gov.Ib/Ar/Reprod/4.htm-5.K > [9 ينـاير 2004]

(50) علي عبد المنعم مراد ، **الوضع الغذائي وصحة الطفل** ، دراسة ميدانية بمنطقة "بئرجريد "بوسط سيناء ،القاهرة،المؤتمر الدولي لمعهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس ، 1992 ،ص 121 .

(51) آني آنزيو ، المرأة الأنثى، بعيداً عن صفاتها، مرجع سابق ، ص18 .

(52) دافيد لوبروتون، أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، مرجع سابق، ص206 .

(53) نهى القاطرجي،المرأة في منظومة الأمم المتحدة، مرجع سابق، ص 92